لم ينشر طبقات القراء للذهبي كاملاً

د. احمد خان
الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام اباد - باكستان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن جميع نشرات طبقات القراء للذهبي، التي طبعت حتى الآن تحت عنوان "طبقات القراء" أو باسم "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار"، وكانت محققه أو غير محققة، ومهما كانت من نسخ قد قرئت على الذهبي أو لم تقرا عليه، جميعها كانت من نسخ ناقصة للكتاب وغير كاملة، ولا مما ارتضاه المؤلف.

ومن المؤسف أن العلماء الذين استفادوا أو اقتبسوا من هذه النسخ لم يدركوا هذا النقص، كابن الجزري الذي حوى هذا الكتاب جميعه في "غاية النهاية في طبقات القراء" له، ولم يتنبه على هذا العيب كذلك.

ومن الغريب أنهم - أي العلماء - لم يفطنوا خلال القرون إلى هذا النقص الكبير والعجيب معاً.

من المعروف أن عديداً من أصحاب التواليف من الأسلاف لم يدونوا بعض تأليفاتهم مرة واحدة، بل عاودوا فيها النظر، بعد أن حصلوا على معلومات جديدة في مادة كتاب ما، أو تحت ضغط خاص أو لحاجة ما، فرتبوها مرة ثانية أو ثالثة أو رابعة حتى أنهم جددوا مؤلفاتهم لإخراجها بأحسن شكل، ولهذا الغرض عملوا في مادتها تقديماً وتأخيراً، وأصلحوا في عباراتها لغة وبياناً، وأضافوا إليها معلومات وافرة، حتى أنهم جعلوها وفقاً لمعلومات حصلوا عليها حتى مماتهم.

ويعرف منا مَن يعرف أن مؤرخ بغداد ابن النجّار (ت ٦٤٣هـ) مثلاً قد قام بنشر كتابه غير مرّة، وظلّ يضيف عليه إلى قريب من وفاته.

ولو نظرنا من هذه الناحية في اثار شمس الدين ابي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٧هـ)، ودرسنا ما فيها من فوارق لنسخ بعض كتبه لوجدنا انه

جدّدها وهذّبها غير مرّة. فمثلاً "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، الذي فرغ من تأليفه أول مرة سنة ٧١٤هـ، وحوّل اهتمامه بعد ذلك إلى تأليف كتبه الأخرى، أعاد عام ٧٢٦هـ نظراً فيه، وجدّد بعض أقسامه غير مرة، واضطر إلى إعادة نسخ بعض مجلداته وتغيير أعدادها لكثرة ما أضاف من مادة، بعد انتهائه أول مرة.

ومن المعلوم أن لمعجم الشيوخ للذهبي نسختين : نُقلت الأولى عن نسخة المؤلف المكتوبة سنة ٧٢٨ هـ، وقد تضمّنت ١٢٧٨ ترجمة، وظلّ عدد التراجم فيه ثابتاً حتى سنة ٧٣٨ (نسخة أحمد الثالث رقم ٤٦٢). وأما النسخة الثانية (دار الكتب المصرية، رقم ٦٥ مصطلح الحديث) فقد قرئت على المؤلف سنة ٧٤٥هـ، وهي تمثل آخر نشرة له، وفيها زيادة ونقصان مما في الأولى[١].

وعرفنا مؤخراً أنه – أي الذهبي – قد رتب كتابه "طبقات القراء" غير مرة و عاود فيه النظر، وأحسن سبكه غير مرة، طبقاً لشواهد وقرائن سنذكرها في السطور التالية وعملَه على الأقل ثلاث مرات، وظلّ يضيف إليه معلومات حتى وفاته.

ولحسن حظ الكتاب فقد بقيت نسخ لكل صيغة من صيغه الثلاث، وفيما يلي وصف لكل صيغة منها.

الصيغة الأولى للكتاب :

عندما فرغ الذهبي سنة ٧١٤هـ من تأليف كتابه تاريخ الإسلام، أول مرة، لعلّه فكر في تدوين كتابه "طبقات القراء". وفي هذا الفترة من الزمن كان خطيباً بمسجد كفر بَطنا، بقرب دمشق[٢]، فانتهز هذه الفرصة وظلّ في جمع هذا الكتاب وتأليفه، وقد فرغ منه عام ٧١٨هـ، أو قبله ببضعة أشهر.

وهذه كانت الصيغة الأولى للكتاب[٣].

ولهذه الصيغة عرفنا عدة نسخ، فمنها نسخة انتسخها شهابُ الدين أبو العبّاس بن أحمد بن يحيى بن نحلة النابلسي، ثم الدمشقي التاجر، يعرف بابن السُّلعُوس (ت ٧٣٢هـ)، في عدة مجالس، وآخرها تاسع جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وقرأها على الذهبي بحضرة أخيه، وأخذ جميع مرويات الذهبي في الوقت نفسه[٤].

وأما النسخة الثانية لهذه الصيغة، فهي التي نسخها شرف الدين أبو المعالي محمد بن أبي بكر بن يوسف المزّي (٧٠١هـ - ٧٦٦هـ) بدمشق، وقرأها على الذهبي بحضرة جدّه زين الدين أبي بكر بن يوسف المزّي، الذي مات في ربيع الأول سنة ٧٢٦هـ[٥].

والنسخة الثالثة من هذه الفصيلة توجد بمكتبة كوبريلي (تركية) برقم ١١٠٢[٦].

والنسخة الرابعة لهذه الصيغة توجد بدار الكتب المصرية التي كانت في ظن محققي "معرفة القراء" تحت بصر ابن الجزري فأفاد منها في كتابه غاية النهاية[٧].

وأما كتاب طبقات القراء أو معرفة القراء الكبار في الطبقات والأمصار للذهبي الذي طبع مراراً بتحقيق العلماء أو بغير ذلك حتى سنة ١٩٨٣م، فكان عن النسخ للكتاب من هذه الفصيلة، لا غير، بل كان عن النسخ السيئة، كما أخبرنا عنها محققوه في نشرته سنة ١٩٨٤م نشرة جديدة، ومحققة على طريقة حديثة عن نسخة الكتاب الثانية المشار إليها أعلاه، وباستمداد طبعاته السالفة. و للأسف لم يخرجوا الكتاب الكامل هذه المرة كذلك، على الرغم من الجهد الكبير الذي قدمه العلماء الكبار في هذا الفن، لأن النسخ المستفادة لهذه النشرة ما كانت جميعها إلاّ من صيغة الكتاب الأولى، ومن فصيلة واحدة.

ومن الغريب أن محققي «معرفة القراء» ممن كانوا يحققونه سنة ١٩٨٤م كانوا يرجعون لكل ترجمة منه إلى كتاب "غاية النهاية في طبقات القراء" لابن الجزري الذي يعدّ مصدراً مهماً من مصادر هذا الفن، والذي يحوي جميع معلومات كتاب الذهبي كذلك[٨] كانوا يجدون في الغاية عبارات غير مطابقة لما يجدونه في نسخ «طبقات القراء» للذهبي، وأدركوا أن بعض معلومات ابن الجزري المستمدة من الذهبي لا توجد في النسخ التّي بين أيديهم للكتاب.

وهذا الأمر قد أقلقهم كثيراً. وفي بداية العمل ظنوها نتيجة اختلاف النسخ، ولكنّهم سرعان ما عرفوا أن النسخ التي بين أيديهم لا توافق النسخة التي كانت أمام ابن الجزري حين تأليفه "غاية النهاية"، فبدأوا بإثبات كلمات "لم نجدها في النسخ" للعبارات الموجودة في الغاية وغير الموجودة في نسخهم. وبهذه الاختلافات الكثيرة والمهمة جداً أدركوا كل الإدراك أن نسخة الكتاب التي كانت أمام ابن

الجزري، وكانت بخط الذهبي كذلك، ما كانت من فصيلة النسخ التي يحققون الكتاب عليها.

وكان من واجب المحققين أن يصرحوا بهذا الاختلاف الكبير في مقدمة الكتاب، ولكنهم بالعكس حاولوا أن يثبتوا أن النسخة التي يحققون الكتاب عليها تطابق نسخة استفاد منها ابن الجزري في "الغاية" ولكنهم أخفقوا في ذلك.

وأغرب من هذا أنهم لما رأوا أن النسخة التي وجدوها بدار الكتب المصرية تشتمل على شيء من الإضافات، وهي بيد الذهبي، نسجوا فكرة غريبة، وهي "أن النسخة التي استفاد منها ابن الجزري هي النسخة نفسها التي توجد بالدار". مع أن الحقيقة غير ذلك؛ ثم أضافوا عنها في «معرفة القراء» إضافات يسيرة ظانّين أنهم يستكملون كتاب «معرفة القراء» الكبار من كلّ النواحي.

ولإثبات هذه الفوارق ولجعل نسخة الدار ذات أهمية وشأن قالوا في مقدمة معرفة القراء:

"... إن النسخة (التي يحققون الكتاب عليها) كتبت قبل سنة ٧٢٦هـ، وبين هذا التاريخ ووفاة المؤلف مدة طويلة، ولا بدّ أنه عاود النظر فيها، فنقّح شيئاً مما جاء فيها وزاد زيادات يسيرة تبيّناها من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية... مما نقله ابن الجزري في كتابه غاية النهاية الذي اعتمد [على] نسخة المؤلف المكتوبة بخطه"[٩].

صحيح أن الذهبي عاود النظر في الكتاب، فنقّح ما جاء فيه. ولا شك في أنّه زاد عليه زيادات، ولكنها ليست بيسيرة بل كثيرة، وليست بهذه النسخة التي توجد بالدار، بل بنسخة أخرى. وليس بصحيح كذلك أن ابن الجزري قد أفاد من النسخة التي توجد بالدار. ولو كانت النسخة التي أفاد منها ابن الجزري النسخة نفسها التي توجد بالدار، فلماذا أثبت محققو الكتاب "لم نجده في النسخ" للإفادات التي وجدوها عند ابن الجزري منقولة عن الذهبي؟

وكان من واجب المحققين كذلك أن لا يتركوا القارىء حيران وفي ارتباك من هذه الإفادات، وأن يتيروا له طريقاً إلى الصواب. ولكنهم لم يتطرقوا إلى هذا الجانب المهم للنسخة التي وصفوها بأنها "نسخة نفيسة".

الصيغة الثانية للكتاب:

لإدراك صيغة الكتاب الثانية لا بدّ لنا أن ندرس صيغته الثالثة أولاً، لأنها ترشدنا بكل وضوح إلى نسخة الكتاب التي كانت قد دوّنت بصيغته الثانية.

ولحسن حظ الكتاب فإن نسخته لصيغته الثانية قد وجدناها محفوظة عند ابن الجزري الذي استفاد من نسخة هذه الصيغة في الواقع، ولم يفطن بأنه كان يستفيد من النسخة الناقصة للكتاب.

وقبل أن أتطرق إلى صيغة الكتاب الثانية أذكّركم أن ابن الجزري لم يستفد من نسخة الصيغة الأولى للكتاب مطلقاً، كما سبق أن وصلنا إليه، لما فيه من فوارق بين الكتاب المطبوع وما منه في «غاية النهاية».

الصيغة الثالثة للكتاب:

وقد عرفنا أن الذهبي كان يعاود النظر مرة ثانية وثالثة وربما رابعة حينما يجد معلومات مزيدة لتأليفه، كما سبق أن ذكرنا، ولهذا فقد هذّب طبقات القراء الذي كان قد تمّ تأليفه قبل عام ٧١٨هـ، وذلك مرة بين سنة ٧٢٥ وسنة ٧٢٩هـ. ويشير بعض الإشارات إلى أن الذهبي قد عمل قبل صياغة الكتاب الأخيرة ذيلاً له[١٠]. ومن الطبيعي أنه ضمه أخيراً إلى الكتاب لمّا أنشأه نشأة جديدة وسبكه وتأنق في تهذيبه وتكميله فأفرغ فيه ما كان عنده من مادة لمختلف صيغ الكتاب وذيله، وكان هذا تهذيباً نهائياً، ولم يجدّد فيه بعد السنة، بيد أنه أضاف فيه سني وفيات القراء الذين ماتوا قبل رحيل الذهبي إلى جوار رحمة الله، وذلك في سنة ٧٤٨هـ[١١]. وآخر ما أضاف سنة وفاة لقارىء كانت في شعبان سنة ٧٤٧هـ[١٢].

وقد عرفنا هذا من نسخة الكتاب لهذه الصيغة الثالثة والأخيرة، التي وجدناها حديثا[١٣].

إذاً، نستطيع أن نقول جازمين ودون أي شك أو ارتياب إن النسخة هذه نسخة أخيرة ونشرة نهائية لطبقات "القراء للذهبي".

ونجد في هذه النسخة الأخيرة للكتاب أن عدد التراجم فيه قد أصبح ضعفين تقريباً من نسخة الكتاب لصيغته الأولى، كما فيها تقديم وتأخير في كلّ ترجمة على العموم. وأما الزيادات والتكميلات في التراجم فلا تُحصى ولا تحدّد. وفي بعض

التراجم زيادات بقدر كبير حتى أصبحت هذه التراجم ضعفي الأولى، وبعضها غيّر شكلها. وإلى جانبها أصلح المؤلف كتابه لغة وبياناً. وخلاصة القول فقد صار الكتاب في هذه النسخة كتاباً آخر يختلف عما نُشر.

وأما عدد التراجم التي أضافها المؤلف إلى نسخة الكتاب بصيغته الأولى فتراه من خلال هذا الجدول :

رقم الطبقة	عدد التراجم في معرفة القراء	عدد التراجم في نسختنا	فوارق
١	٧	٧	٠٠
٢	١٢	١٢	+ ١
٣	١٩	١٨	- ١
٤	١٦	٢٦	+ ١٠
٥	٢١	٣٩	+ ١٨
٦	٥٠	٦٩	+ ١٩
٧	٥٨	٩٣	+ ٣٥
٨	٦٦	٨٥	+ ١٩
٩	٦٠	٨٢	+ ٢٢
١٠	٥٠	٨١	+ ٣١
١١	٤٤	٨٣	+ ٣٩
١٢	٥٧	١١٦	+ ٥٩
١٣	٧٠	١٢٧	+ ٥٧
١٤	٦٥	١٥٠	+ ٨٥
١٥	٤٠	٨٩	+ ٤٩
١٦	٨٠	١٢٧	+ ٤٧
١٧	٠٠	٢٩	+ ٢٩
١٨	١٩	٠٠	- ١٩
ذيل	٠٠	٢٥	+ ٢٥
مجموع	٧٣٤	١٢٦٩	+ ٥٣٥

ومن البديهي أن التراجم المضافة سيكون بعضها قد زيد في صيغة الكتاب الثانية، والباقي في صيغته الأخيرة. لأن نسخة الكتاب بصيغته الثانية غير موجودة بصورة عامة[١٤] ولذلك صار الكشف عن عدد التراجم المزيدة في الصيغة الثانية

عسيراً، ولكن الأمر ليس بمستحيل، لأن كتاب "غاية النهاية" الذي حوى جميع نسخة هذه الصيغة لو دُرس دراسة دقيقة، وقوبل بالتراجم التي يشتمل عليها "معرفة القراء" ترجمة ترجمة لعُرفت التراجم جميعها التي أضافها المؤلف في هذه الصيغة للكتاب[١٥].

الصيغة الثانية للكتاب مرة أخرى:

عندما رجعت - بصدد هذه النسخة الأخيرة للكتاب - إلى "غاية النهاية" الذي يحوي جميع الكتاب، وجدتُ فوارق، ولكنني لم أتنبه أولاً إلى الأمر الذي انكشف لي فيما بعد. ولم يتسنّ لي خوض هذه المعركة لولا العبارة "لم نجده في النسخ" التي أوردها محققو "معرفة القراء" فيه، غير مرة، فإنها قادتني إلى الشك في نسخة الكتاب التي كانت أمام ابن الجزري. ولما خطوتُ خطوات في المقابلة بينهما جعل الشك يقرب من اليقين حتى تبيّن لي بكلّ وضوح أن نسخة الكتاب التي استمدّ منها ابن الجزري في كتابه "غاية النهاية" كانت مغايرة لنسختنا، وأنها كانت مغايرة كذلك "لمعرفة القراء"، كما تقدم القول.

وبعد إجراء التقابل بين نسختنا و "غاية النهاية" ظهرت لي الأمور الآتية:

أ - وجدنا تراجم عديدة في نسخة الكتاب الأخيرة، لم يذكر حتى أسماء مترجميها عند ابن الجزري[١٦]. على الرغم من أن ابن الجزري أفرغ جميع كتابَيْ طبقات القراء للداني والذهبي في كتابه، وأضاف إليهما من موارد أخرى كثيرة، فإذاً، لو لم يذكر فيه قارئاً وردت ترجمته في نسختنا لكان معناه أن النسخة النهائية لكتاب "طبقات القراء" للذهبي لم تصله.

والأمر يشير إلى أهمية كبيرة لهذه النسخة الفريدة.

ب - بينما ابن الجزري يأتي بمعلومات قليلة في تراجم عديدة، فإن نسختنا تشتمل على إفادات مزيدة ووافرة لتلك التراجم.

ج - وجدنا بعض المترجمين وردت لهم عند ابن الجزري معلومات، ولكن التراجم غير كاملة بالنظر إلى الإفادات التي وردت في نسختنا. ومن الواضح أنه لو وصلت هذه الإفادات إلى ابن الجزري لضمّها إلى كتابه، يقيناً.

إن التراجم غير المذكورة عند ابن الجزري، وقلّة المعلومات لديه، وفقدان الإفادات

المأخوذة من الذهبي، أمور تدل دلالة واضحة على أن ابن الجزري لم يتسنّ له الحصول على نسخة الكتاب النهائية.

وفي السطور التالية أوردنا شيئاً من الأمثلة في هذا الشأن التي تشير إلى فروق في هذه الصيغ الثلاث للكتاب التي انتهينا إلى تحديدها، وهي تؤيدنا فيما وصلنا إليه:

- ذكر ابن الجزري (٥٣٤/١-٥٣٥) في ترجمة أبي الحسن الرّقي: "قال الحافظ أبو عبد الله: هذا شيخ مجهول، ما ذكره إلاّ السُّامرّي، والعُهدة عليه. فإني لم أر الخطيب ذكره في تاريخه. وقد وقعت لي رواية السوسي من طريقه عالية".

وهذه العبارة غير موجودة في معرفة القراء (٢٤٦/١)، وإن ابن الجزري قد اقتبسها من نسخة الكتاب لصيغته الثانية. وهي في نسخة الكتاب لصيغته الثالثة والأخيرة مهذّبة هكذا:

"قلت (يقول الذهبي): هذا شيخ لا يعرف، وما أتى به سوى السُّامرّي، والعُهدة عليه، ولا ذكره الخطيب في "تاريخه". وقد وقعت لنا رواية السوسي من طريقه عالية" (ترجمة ٢١١).

- لم يُذكر سنة وفاة جعفر بن سلمان الخراساني المشملائي في معرفة القراء (٣٠٠/١)، ولكن ابن الجزري (١٩٢/١) قد ذكرها عن الذهبي. وهي مذكورة في نسختنا (ترجمة ٢٠٤) ومضاف بعدها: "وسماع ابن غلبون منه في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة".

لا شك أن ابن الجزري قد ذكر تأريخ الوفاة وسماع ابن غلبون كذلك، ولكنه لم يذكر السنة التي سمع ابن غلبون فيها من صاحب الترجمة. ولو أنه وجد هذه الإفادة لذكرها، لا محالة.

- ورد في "معرفة القراء" (٣٣٩/١) ضمن ترجمة علي بن إسماعيل بن الحسَن أبي علي البصري: "أقرأ ببغداد". وأضاف المحققون بعده: "مدّة، واشتهر ذكره، وطال عمره، وصنّف في القراءات، وبقي إلى حدود التسعين وثلاثمائة" من "غاية النهاية" (٥٢٧/١) لابن الجزري الذي نقلها عن الذهبي. وقالوا: لم نجدها في النسخ. والعبارة في نسختنا (ترجمة ٣٧١) هكذا:

"أقرأ ببغداد مدّة، واشتهر ذكره، وطال عمره، وكان ثقة. صنّف في القراءات،

وبقي إلى حدود سنة تسعين وثلاثمائة، رحمه الله تعالى. وقال الأهوازي: قرأت عليه ببغداد سنة ست وثمانين وثلاثمائة".

- وردت في "معرفة القراء" (٤٠٢/١) ضمن ترجمة رشأ بن نظيف بن ما شاء الله عبارة: "قلت: وولد في حدود السبعين وثلاثمائة، وله دار موقوفة على القراء إلى [جانب] السميساطيه بدمشق". وقال المحققون في الحاشية: ما بين المعقوفتين لم ترد في الأصول، ولكن نقلها ابن الجزري عن الذهبي (٢٨٤/١).

وحسّن الذهبي هذه العبارة في الصيغة الأخيرة للكتاب (ترجمة ٤٨٩) فقال: "وتوفي في شهر المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة. قلت: مات في عشر الثمانين، وداره معروفة إلى جانب السميساطية بدمشق، وقفها على المقرئين.

- جاءت العبارة "بمعرفة القراء" (٤٥٤/١) في ترجمة محمد بن المفرج البطليوسي: "وما علمتُ أحدا مثله جمع الأخذ عن هولاء". وهي عند ابن الجزري (٢٦٥/٢): "قال الحافظ أبو عبد الله: وما علمت أحداً جمع الأخذ عن هولاء". على أنها في شكلها النهائي (ترجمة ٥٧٨): "وما علمت أحداً جمع الأخذ عن هولاء سواه، وهو ضعيف".

- وقد وردت ترجمة عُبَيد الله بن عمرو بن هشام في "معرفة القراء" (٥٢١/١) مرة، ولكن يقول ابن الجزري في "غاية النهاية" (٤٩١/١): "وقد جعله الحافظ أبو عبد الله اثنين، فذكره في الطبقتين، وسمّى أباه في الثانية غير عمر [؟] ، وكذلك جعل شيخه عون الله اثنين".

وعندما رجعت إلى "معرفة القراء" وجدت فيها ترجمة واحدة المشار إليها سابقاً. وأما بنسختنا (ترجمة ٧١٦) فترجمة واحدة كذلك، ولكن تفيدنا بذكر أستاذه عون الله، وتضيف إليه "وكان شيخه عون الله من تلامذة أبي عبد الله الطرفي".

- وتتفق نسختنا (ترجمة ٧٣١) في إيراد ترجمة يوسُف بن المبارك بن محمد بن أبي شيبة بمرة واحدة مع "معرفة القراء" (٥٣٠/٢-٥٣١)، ولكنها قد وردت في نسخة الصيغة الثانية للكتاب مرتين، إذ يشير إليهما ابن الجزري (٤٠٣/٢) ويقول: "وقد ترجمه الذهبي بترجمتين في الطبقة الثانية عشرة والثالثة عشرة، وبسط الثانية

أكثر. وزاد في الأولى أنه كان وكيلاً بباب القضاة. وقال في الثالثة: مات في رجب سنة سبعين وخمسمائة، على ما ذكره الدبيثي".

وفي نسختنا كلتا الفائدتين بمكان واحد.

- ووردت العبارة في معرفة القراء (٢/٥٥٥): "... وصنف التصانيف" فقط بنهاية ترجمة يوسُف بن عبد الله بن سعيد، أبي عمر بن عياد اللُّريّي. ولكن ابن الجزري ينقل عن الذهبي عبارة مزيدة بهذا الشأن، ويقول: "قال الذهبي... وصنّف التصانيف، وبعُد صيته. سُقنا أخباره في التأريخ الكبير. مات سنة خمس وسبعين وخمسمائة؛ وله سبعون سنة" (٢/٣٩٧).

وقد هذّبها الذهبي في نسخة الكتاب بصيغته النهائية. وأفادنا: "... وصنّف التصانيف، واشتهر اسمُه وبعُد صيته. سقنا أخباره في التأريخ الكبير. عاش سبعين سنة. مات سنة خمس وسبعين وخمسمائة، بالأندلس (انظر ترجمة ٧٨٥).

- لم يذكر الذهبي اسم أخي عبد الله بن محمد بن عبد الوارث العَدل في ترجمته أوّلا (انظر معرفة القراء ٢/٦٦١)، ولكنه ذكره في صيغة الكتاب الثانية ضمن ترجمة القارىء نفسه، فقال: "وله أخ اسمه عبد الله أيضاً. مات سنة خمس وثلاثين، وقال: وبقي هو إلى سنة أربع وستين وستمائة، قلت (بياض)"، (غاية النهاية ١/٤٥٣).

حيث إنه أفادنا بمعلومات مزيدة عليها في صيغة الكتاب الأخيرة (ترجمة ١٠٦٦)، "قلت: وله أخ، مات سنة خمس وثلاثين وستمائة، وهو أبو الحسن عبد الله المعروف بابن الأزرق، وهو لقب لجدّ أبيه".

- اختتم الذهبي لدى إتمام تأليف كتابه بصيغته الأولى (معرفة القراء ٢/٧١٦) ترجمة حُسَين بن سُلَيمان بن فزارة أبي عبد الله الكفري، بذكر تلاميذه، فسرد بآخرهم: "شرف الدين محمد بن أحمد بن الشيخ زين الدين أبي بكر المزّي الحريري"، ولم يزد شيئاً بعده.

ولكنه أضاف في آخر هذه الترجمة لما عاود فيه النظر ثانياً، فأورد: "وأضرّ آخر عمره، ولزم منزله حتى توفي في جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة (غاية النهاية (١/٢٤١). وقال في آخر مرة بعد أن تأنق في تهذيبه: أضرّ بآخره، ولزم المنزل، عوضه الله الجنّة. وقد عرض "الشاطبية" على الإمام أبي شامة. توفي في

جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة. سمعتُ منه وجمعتُ عليه بعض الختمة، وقطعت. وكان خيراً، متواضعاً، كيّسا (انظر ترجمة ١١٧٥).

ومن الموثوق أنكم عرفتم من خلال هذه الأمثلة الموردة آنفاً - وهي قليل من كثير - أن ابن الجزري كانت لديه نسخة من طبقات القراء للذهبي أحسن من فصيلة النسخ التي نُشِر الكتاب عليها إلى الآن، وبدرجة أقل من النسخة التي وجدناها أخيراً.

ومن الموثوق كذلك أنه كانت لكلّ هذه الصيغ الثلاث نسخ لدى العلماء. ومن صيغة الكتاب الأولى وجدنا النسخ التي ذكرناها آنفاً؛ وبصيغته الثانية كانت نسخة لدى ابن الجزري حين تأليفه "غاية النهاية". وأما بصيغته الثالثة والأخيرة فوجدناها الآن، وهي فيما يظهر الفريدة، حيث لم تعرف حتى اليوم مثيلتها فيما تصفحنا من فهارس للمكتبات أو لدى استفسارنا أصدقاءنا في العالم كلّه[١٧].

إلى أيّ حد تكبر نسختنا عن معرفة القراء المطبوع، فلعلكم عرفتموه من خلال الجدول السابق، وذلك من حيث عدد التراجم، ولكنني أريد أن أسوق في السطور التالية شيئاً من أمثلة تعرفون من خلالها مدى الزيادات التي قام بها المؤلف في النسخة الأخيرة للكتاب ضمن التراجم الواردة في معرفة القراء. فعلى سبيل المثال لا الحصر أقول:

- في معرفة القراء (٢٣٦/١) ترجمة للعبّاس بن الفضل بن شاذان التي لا تزيد على عشرة سطور، وهي في نسختنا (ترجمة ١٨٨) أزيد من عشرين سطراً، وبآخرها فقرة هامة هي هذه:

"قلت: كان عالي الإسناد في الكتاب والسنة.

قد أدرك محمد بن غالب صاحب شُجَاع البلخي، وقرأ عليه. وممّن قرأ عليه أبو العباس أحمد بن محمد العجلي شيخ لأبي علي الأهوازي، وأبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى شيخ للخُزَاعي، وعلي بن أحمد بن صالح القَزْوِيني.

قال الخليلي: مات بالري سنة احدى عشرة وثلاثمائة.

أخبرنا أحمد بن تاج الأمناء، قال أنبأنا عبد العزيز بن محمد، قال أنا أبو القاسم الشَّمَامَي سنة سبع وعشرين وخمسمائة بِمقراة، قال أنا محمد بن عبد

الرحمن الكنَجرُودِي، قال أنا محمد بن أحمد الحَيري، قال أنا أبو القاسم العبّاس ابن فضل بن شاذان حدثنا علي بن عبد المؤمن، حدثنا المحاربي عن أبي سعيد البقّال عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها حديث الإفك".

- فقد أورد الذهبي في "معرفة القراء" (١/٢٤٠) ترجمة مختصرة للقاسم بن زكريا بن يحيى المطرِّز. والمعلومات الواردة في نسختنا (ترجمة ١٩٨) ليست في التقديم والتأخير فحسب بل زيدت إفادات عديدة بين فقراتها، وبآخرها إفادة هامة هي هذه:

"قلت: ما يلام من خط علي الأحوازي فإنه كنى قاسماً أبا محمد، وزعم أنه تلا على علي بن الحسين الغضائري، أحد المجهولين. وقال: قرأت على القاسم بن زكريا بن يحيى المقرىء في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة. وهذه فضيحة، وقد ينتصر متعصب للأهوازي فيقول: هذا مقرىء آخر وافق اسمُه واسم أبيه المطرِّز، وتأخّر. فهذا شيء لا وجود له، والله تعالى أعلم".

- ترجمة الحسَن بن الحُسَين بن علي الصوّاف: وردت في "معرفة القراء" (١/٢٤٢-٢٤٣) مختصرة جداً أضاف المؤلف فيها إفادات عديدة واختتمها على هذه العبارة في نسختنا (ترجمة ٢٠٠):

"قال أحمد بن كامل القاضي، قال لي أبو علي الصوّاف كنت أختم القرآن، وأنا راكع، فقلت: هذا لا يجوز. قال: ما كنت أعلم.

وعن العزّال، قال رأيتُ في النوم كأنّ قائلاً يقول: يا ملك الموت اقبض روح الرجل الصالح، يعني أبا علي الصوّاف. قال فخرجت في السحر فإذا هو قد مات. وكان موته في رمضان".

- أورد الذهبي أولا في معرفة القراء (١/٢٤٢-٢٤٣) ترجمة سعيد بن عبد الرحيم أبي عثمان الضرير في سطور تعدّ على الأنامل، ولكنّه لدى حصوله على معلومات وافرة فيما بعد، أضاف في ترجمته إفادات كثيرة، كما ختمها بهذه الفقرة المهمة؛ (الترجمة ٢٠٤):

"وفي كتاب القراء لأبي عمرو الداني: حدّثنا علي بن محمد بن خلف، قال: أنا

أبو الفتح بن بدُهْن - فضبطه بسكون الهاء - ثم قال الداني سمعت الحسَن بن سُلَيمان يقول سمعتُ أبا الفتح بن بدُهْن يقول كنّا نقرأ على أبي عثمان الضرير خفيةً من ابن مجاهد، وكان لا يُقرىءُ أحداً الاَ خمسين اية، فكنتُ إذا قرأت عليه الخمسين، قطع عليّ، فقمت عنه، ثم آتيه بعد ذلك فأبتدىء عليه، وأخالف بصوتي وأبدّل حلقي فلا يفطن بي، فاقرأ خمسين آية أخرى، ففعلتُ ذلك كثيراً، حتى ختمت عليه ختمة. وبلغت في الثانية إلى "الممتحنة"، ففطن بي، وقال: أنت أبو الحَلاقِيْم".

- أورد الذهبي فقرة بعيدة في ترجمة هارُون بن موسى بن شريك الأخفش أولاً في "معرفة القراء" (١/٢٤٧-٢٤٨)، ولكنه أفادنا بمعلومات وافرة وجديدة في نسختنا (الترجمة ٢١٥)، وقال:

"أنباؤنا عن الخشوعي عن أبي عبد الله الرازي، قال: أنا أبو القاسم الفارسي، قال: أنا أبو أحمد بن الناصح، حدثنا هارون الأخفش إملاءً سنة إحدى وتسعين ومائتين، حدّثنا أبو العبّاس سلاّم بن سُلَيْمان المدائني الضرير، حدثنا أبو عمرو بن العلاء، عن نافع مولى ابن عُمر، قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الأنفال (وَعَلِمَ أنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا) برفع الضاد. قال لي الأخفش: هكذا هو مرسل".

- في ترجمة يوسُف بن يعقوب الإمام أبي بكر الواسطي أورد الذهبي أوّلاً ترجمة ذات ١٣ سطراً، حيث أضاف فيها إضافات، وفقرة طويلة بآخرها على النحو الآتي (الترجمة ٢٢٢):

"أخبرنا محمد بن عبد السلام التُّميمي، وأحمد بن هبة الله العساكري عن زَيْنَب بنت عبد الرحمن، قال: أنا زاهر بن طاهر المَسْتَمْلِي، قال: أنا محمد بن عبد الرحمن الكَنْجرُودِي، قال: أنا محمد بن محمد الحافظ، حدثنا يوسُف بن يعقوب المقرىء بواسط، حدثنا محمد بن خالد، حدثنا فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أمامة عن السُّلَمي، وهو عمرو بن عَبْسَة رضي الله تعالى عنه، قال: لقد رأيتني، وأنا ربع الإسلام، قلتُ: لو حدثتنا حديثاً سمعتَه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليس فيه انتقاص ولا وَهن. قال سمعتُه يقول: مَن وُلِدَ له ثلاثة في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحِنْث، أدخله الله تعالى الجنّة بفضل رحمته إيّاهم، ومَن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة. ومَن رمى بسهم في سبيل

الله فبلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له كعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله تعالى بكلِّ عضو منها عضواً منه من النَّار. ومَن أنفق نفقةً في سبيل الله فإن للجنَّة ثمانية أبواب دعَتْه حجبة الجنة يدخل من أيِّ أبواب الجنَّة شاء. خرج لين الحديث".

- أضاف الذهبي في نسخة الكتاب الأخيرة فقرة طويلة بآخر ترجمة الحسَن بن داوُد بن الحسن القرشي النقَّار، الواردة في "معرفة القراء "(٣٠٤/١) في السطور العديدة والإضافة مفيدة جداً، وجاءت هكذا (في الترجمة ٣١٣):

"وقال الأهوازي في كتاب "الاتضاح" له: ثنا عبد الله بن الحُسَيْنُ الزيدي، قال حدثني أبي حدثنا الحسن بن داوُد النَّقَّار: كنت أقرىء بالكوفة، وكان ناس مجتمعون بقرب حلقتي فيقولون: هذا الشيخ مقرىء الناس من دهر، ولا يأجره الله تعالى لأن القرآن بُدِّل وغُيِّر، فتألمتُ، وشقَّ ذلك عليَّ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فشكوتُ إليه قولهم. فقال لي: اقرأ، فقرأتُ عليه القرآن من الحمد إلى الناس. فقال: هكذا أنزل عليَّ، فابتهجتُ فسجدتُ لله شكراً. وحدثت أصحابي، وقلت: لا تقية بعد اليوم، فلما جاء أولئك، وخاضوا في حديثي، قمتُ وأصحابي. وقلت: نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول لي: هكذا أنزل، وهكذا أقرأت الناس، ووقعتُ فيهم أنا وأصحابي بنعالنا، فلم يعودوا إلى ذلك.

قلتُ: توفي النَّقَّار بعد سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة. سمع منه الحاكم وغيره. ويروى عن إبراهيم بن عبد الله القصَّار. مات في عشر التسعين، رحمه الله تعالى".

وقد سقنا هذه الإضافات القصيرة بتعمّد للمكان الضيق، وهي على سبيل المثال، ومن مكان واحد تقريباً، حيث إنها كبيرة وكثيرة في الكتاب كلّه.

ولا يفوتنا أن نذكر أن الذهبي جدّد كثيراً من التراجم في نسختنا كترجمة الدارقطني (رقمها ٣٨٨)، والداني (رقمها ٤٩٥) مثلاً، فأصبحت بعد التجديد هذه التراجم جديدة كليّة، لا علاقة لها من حيث الضخامة بالتراجم الأولى الواردة في معرفة القراء.

وإن وصف الفرق بين نسخة الصيغة الأولى والأخيرة للكتاب ليس بسهل، ولا يستطيع أحد أن يحدده في سطور. وما سُقنا آنفاً من الأمثلة إلاّ لإظهار الفروق بين المطبوع والنسخة التي وجدناها للكتاب ومن الواضح أن الكتاب قد تغيَّر تغيراً

أساسياً. وأما الفوارق التي وجدتها خلال مقابلة معرفة القراء ونسختنا فكثيرة، أستطيع أن أرسم خطوطها البارزة فيما يلي:

١ - قد تغيّر عدد الطبقات، لأن "معرفة القراء" يشتمل على ١٨ طبقة[١٨]، ونسختنا تحتوي على ١٧ طبقة، وبآخرها ذيل.

٢ - أضيف في كل طبقة تقريباً عديد من التراجم الجديدة، حتى أصبحت بعض الطبقات ضعفين أو أكثر، من حيث العدد.

٣ - قد بدّل لعدة مترجمين طبقاتهم.

٤ - وقد حذفت التراجم المكررة في "معرفة القراء" من نسختنا[١٩].

٥ - وقد أسقط الذهبي من النسخة النهائية التراجم التي لم يرها تطابق شروطه لانضمامها إلى كتابه[٢٠].

٦ - وأما التقديم والتأخير في أكثر التراجم، والزيادات التي جُعلت فيها، فإنها كثيرة، وبلا حدّ وحساب.

٧ - ومن الغريب أن الذهبي قد غيّر في نسخة الكتاب النهائية عناوين أكثر المترجمين، واختار مكانها عناوين كانوا شهيرين بها بين أوساط العلماء والأسلاف آنذاك.

وأترك هذه الناحية من النسخة وألفت أنظاركم إلى أمور أخرى للكتاب.

فكرة الكتاب:

إن الذهبي لما باشر عمل الكتاب - أي "طبقات القراء" - أدرك أن القراء وحملة القرآن كثيرون في كلّ زمان وممتدون على القرون، وهو لا يستطيع أن يحصيهم أو يذكرهم في الكتاب. فإنه حدّد بعض الضوابط والحدود لاقتناء القراء الخاصين ليضمّ تراجمهم إلى كتابه. وهذه الضوابط فيما يلي كما فهمت من الكتاب:

- إنه ضمّ تراجم المقرئين الذين قرأوا على القراء المشهورين بقراءات شهيرة، وقرأ عليهم القراء في زمانهم، واستمر الإسناد والروايات هذه حتى عصر الذهبي كما أشار بآخر الطبقة الخامسة من طبقات القراء، فقال:

"وفي هذه الطبقة جماعة كثيرة من المقرئين ليسوا في الاشتهار كمن ذكرت، ولا اتصلت بنا طرقهم، وإنما العناية بمن تصدّى للرواية".

وأما القراء من الأسلاف الذين لم تتصل بعهد الذهبي قراءاتهم، و فيهم الصحابة الكبار والمشهورون الذين جمعوا القرآن، ولكن قراءتهم لم تستمرّ، فتركهم الذهبي، ولم يضمّ تراجم هؤلاء إلى طبقات القراء، ونراه يجزم هذا بآخر الطبقة الأولى:

"وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ بن جَبل، وأبي زيد، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعتبة بن عامر، لكن لم تتصل بنا قراءاتهم، فلهذا اقتصرتُ على هؤلاء السبعة (المذكورين في الطبقة) رضي الله عنهم".

– ومَن اشتهر من السابقين بأسانيدهم، وكثُر الناس الأخذ عنهم، ذكر الذهبي تراجم هؤلاء المقرئين، وأشار إلى هذا الضابط بآخر الطبقة الثانية:– قال:

"فهؤلاء الذين دارت عليهم أسانيد القراءات المشهورة ورواياتهم". ويشرح ما ذكره بآخر الطبقة الثالثة:

"فهؤلاء الآئمة الثمانية عشر قطرة من بحر بالنسبة إلى حملة القرآن في زمانهم، اقتصرت على هؤلاء لدوران الأسانيد في القراءات عليهم".

* * *

والمقرئون الذين لم يعرفوا بهذه الضوابط، لم يجدوا مكانا في "طبقات القراء" للذهبي. ولكننا نرى شذوذاً في عدة علماء، وقد تسربت تراجمهم في الكتاب. ولكن الذهبي قد ذكر سبب انضمامه، لكي لا يظن به أنه لم يراع ضوابطه، كما في ترجمة المفضل بن سَلَمة، فقال:

"قلت ماذا من شرط كتابنا، ولكن ذكرتُه للتمييز بينه وبين المفضل الضبي". (ترجمة٥٨).

وقد ذكر ترجمة القارىء الشهير، وما كان من شرط كتابه، فصرّح بذلك فقال:

"تقطعت رواياته، وإنما أوردته أسوة بأمثاله، وإن كنتُ لم أستوعب هذا الضرب، فلو استوعبت تراجم مَن تلا بالروايات أو بعضها، ولم ينقل إلينا طرقه لبلغ كتابي عدة مجلدات" (ترجمة ٤٤٢).

– لم يذكر الذهبي القراء الذين كانوا مشهورين، ولكن لم يُعرف أساتذتهم أو مَن قرأوا عليهم، فلم يذكرهم الذهبي، وألمح إلى هذا الشرط في ترجمة حسين بن عبد الواحد الحذاء (ترجمة ٤٤٥).

مخطوطة الكتاب:

لقد حان الوقت أن أضع أمام القارىء تفاصيل لنسخة الكتاب بصيغته النهائية، وهي في الحقيقة شكل الكتاب النهائي والكامل، ومن جانب آخر أصح أشكاله. وبنشر هذه النسخة سأكون فخوراً بتقديم طبقات "القراء للذهبي" كاملاً وصحيحاً، بقدر جهدي.

وكفى بهذه النسخة فخراً أن ناسخها كان عالماً جليلاً من علماء القرن التاسع الهجري، وهو محمد بن محمد بن الحسين محمد بن فهد الهاشمي (٧٨٧هـ - ٨٧١هـ)، الذي فاق معاصريه بعلمه الغزير، وبرز على أقرانه عارفاً للحديث ورجاله. وألّف تأليفات عديدة في العلوم الإسلامية مثل "لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ" للذهبي. وإنه انتسخ هذه النسخة من أصل الذهبي مباشرة في ١٣ يوماً، كان آخرها ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨١٧هـ، جالساً في بيته الذي كان تجاه الكعبة المشرفة. وقابلها بأصلها في الوقت نفسه وصححها[٢٢]. وانتهز الفرصة ثانياً وقرأها أمام أهل بيته، وقابلها مع مثيلتها مرة ثانية في ١٤ مجلساً من ربيع الثاني سنة ٨٢٤هـ إلى المحرم الحرام سنة ٨٢٥هـ[٢٣].

والنسخة تشتمل على ١٤٨ ورقة، مسطرتها ٢٧×١٨سم، وفي صفحتها ٢٧ سطراً، وبعض السطور قد طغت أفقياً مائلة إلى الأعلى على الهوامش، ويظن أنها قد زيدت بالنسخة، والأمر ليس كذلك، وهذا من دأب الناسخ.

وقد فقدت لسوء حظ الكتاب ورقتان منه: الأولى والسابعة، كما مزقت من أعلاها وأسفلها أربع أوراق، وهي ورقة ٢ إلى ٥، ولكن التمزيق لم يذهب بكثير من المادة. أما الورقتان المفقودتان فأولهما كانت تحوي، على العموم، عنوان الكتاب على وجهها، وعلى ظهرها كانت، فيما يُعتقد، مقدمة لعلها وجيزة للكتاب، مع قائمة مصادره، كما أوردها الذهبي بمقدمة كتابه تاريخ الإسلام. وبعدها ورد قسط من ترجمة عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

والورقة السابعة كانت تحتوي على شيء من ترجمة أبي عبد الرحمن، وتراجم كاملة لكل من: عبد الله بن عياش، وأبي رجاء، وأبي الأسود الدؤلي، وأبي العالية الرياحي، وشيء من ترجمة يحيى بن وثّاب.

والنسخة الباقية صحيحة وسليمة من أية شائبة، إلاّ أن ورقتين من الآخر – وفيها تراجم مذيلة – قد التصقتا ببعضهما التصاقاً جزئياً.

وعلى الرغم من أن النسخة كانت قد كتبت بخط دقيق جداً، إلا أنها صحيحة وليس بها أيّ عيب من ناحية الكتابة أو اللُّغة. وكيف يكون هذا، وهي من يد عالم كبير. وكتب ابنُ فهد عناوين التراجم بالحمرة، والتراجم بالأسود. وكلّ ما كتب بين التراجم كلمات "أنشدنا"، و"أخبرنا"، و "قلت"، فأكثرها بالحمرة.

ولخط ابن فهد سمة خاصة، لا بدّ لنا أن نتعرّفها. فإنه بنمطه الخاص من الكتابة، يكتب عديداً من الحروف المعجمة دون إعجام. ورأينا أن قسطاً من أسماء العلماء والقراء، وأوصافهم، وأسماء البلدان لم تعجم، كما أنه لم يضبطها إلاّ شذراً، ونستطيع أن نعدّ هذا على الأصابع.

و ظاهرة أخرى لخطه – لم نجدها إلاّ لديه – وهي أنه يكتب دائماً كلمة "بن" ملحقة بأخر الأسماء التي تليها، خاصة الأسماء التي تنتهي بحرف "د" (كأحمد ومحمد)، وبحرف "ن" (كالحسن)، وبحرف "ى" (كعلي وموسى)، كما أنه يكتب اسم محمد وأحمد بهيئة مختصّة له (انظر اللوحة الثانية).

ووجدنا على هامش النسخة – وعددها ٢٤ صفحة – تراجم، لم تكتب في الوهلة الأولى، وكتبها ابن فهد لدى مقابلة النسخة بأصلها، فإنه وجدها غير منسوخة، ولم يكتبها على أوراق منفصلة بل ضمها إلى الأوراق المكتوبة، حسب ترتيبها.

إن معرفة ناسخ النسخة وخبرته في نقل الكتب – وهي ميزة عظيمة لهذه النسخة – قد أضفى على نسختنا، أهمية وقدراً كبيرين.

وبآخر هذه النسخة ذيلٌ، نقله ابن فهد وأفادنا بأنه "منقول من خط الذهبي، ومن فوائد الحافظ عفيف الدين المطري". وهو يشتمل على ٧ صفحات وفيها ٢٥ ترجمة. لعل مترجمي هذا الذيل كانوا من معاصري الذهبي والمطري. ولأن ورقتي النسخة الأخريين كانتا قد التصقتا في داخل المجلد، كما سبق أن ذكرت، فوجدنا صعاباً كثيرة في قراءتهما، وغَمُضت عليّ كلمات لم أستطع قراءتها فحاولت استكمال هذا الخلل من مصادر أخرى متوافرة لدينا.

ولما أمعنت النظر في هذه التراجم المذيلة رأيت فيها علامة مدورة (o) بين كل ترجمة تقريباً. أعتقد أنها من عند المطري الذي أضاف على عبارات الذهبي،

فحواها أن الترجمة حتى العلامة، تكون من قلم الذهبي، وبعدها بقلم المطري.

من المحتمل أن النسخة هذه قد مكثت عند أسرة ابن فهد وقراها العلماء من الأسرة وخارجها. ولو لم تفقد الورقة الأولى من النسخة لعرفنا دون جهد جملة هذه السّماعات للعلماء، أو على الأقل علمنا من بينها أسماء المعتنين بهذه النسخة.

ومن طريق آخر عرفنا عالماً من علماء هذه الأسرة الذي اعتنى بهذا الكتاب، وهو عز الدين عبد العزيز بن الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المكيّ الهاشمي (ت ٩٤٤هـ) ومن الممكن أنه نظر في هذه النسخة، واستفاد منها ورتّب الكتاب على ترتيب المعجم[٢٤] لأن الكتاب مرتب على الطبقات على سني وفيات القراء، ودون رعاية أسماء القراء.

وهناك عالم آخر يسمى ابن الحُسباني أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال الدمشقي (ت ٨١٥هـ) الذي عني بهذا الكتاب، فرتبه[٢٥]،ولعله رتبه وفقاً لحروف المعجم.

كيف وجدت النسخة:

كثير من كتب التراث سافرت كالرجال من مكان إلى آخر. ورُبَّ كتاب في الفقه أُلِّف في العراق، نجده في المغرب، وآخر في اللّغة أو الأدب كتبه كاتب بمكة المكرمة، وقد هجرها وانتهى إلى الهند. هكذا نسخت هذه النسخة إلى جوار الكعبة المشرفة، وقد سافرت، بعد أن تداولتها أيدي علماء لا نعرف أسماءهم، إلى الهند، وانتهت إلى مكتبة صغيرة متواضعة بمدرسة محمد علي المكمهدي التي توجد الآن بباكستان. والمدرسة هذه كانت نمطاً من مدارس الأسلاف وعملت على نشر العلم نحو قرن من الزمان وتركت خلفها هذه المكتبة[٢٦]. وقد وصلتْ إلى هذه المكتبة نسختنا صحيحة وكاملة باستثناء ورقتين مفقودتين، لا نعرف عنهما شيئا.

ومنذ بضعة أعوام استرعت مخطوطات عربية في باكستان انتباهي، وذلك لما رأيت قلّة عناية العلماء بها، فعزمتُ على فهرستها وإخراجها من بين الخبايا، وعرضها على محبي التراث العربي الإسلامي، لأنها مهملة منذ أمد بعيد. فسافرت في عام ١٩٨٨م إلى عدة مكتبات شخصية تحتوي على كنوز ثمينة من مخطوطات عربية وفارسية. ومن بينها المكتبة المشار إليها أعلاه. وأذهلتني حالتها الرديئة، فجعلتُ أقلب مخطوطاتها فوجدت فيها عدة مخطوطات تعتبر فريدة في

العالم ونفيسة جداً. ومن بينها وجدت هذه النسخة لطبقات القراء، وقد كانت مجهولة الاسم مهملة، فنفضتُ عنها الغبار ورجعت بها إلى مكتبي بإسلام آباد.

ولما علمت من آخرها أنها "طبقات القراء" للذهبي أخذت في جمع المعلومات عن نشراتها فوجدت نسخة الكتاب المطبوعة بتحقيق العلماء الثلاثة الكبار، فتركت هذه النسخة ووضعتها بناحية، لأني رأيت أنها لا تحتاج إلى تحقيق بعد عمل الفضلاء الجهابذة. ولكن لحسن حظ الكتاب فقد كنت يوماً أقلب النظر فيها فوجدتُ بها بعض الإفادات التي لم أقرأها في معرفة القراء الكبار، فظننتها نسخة مغايرة شيئا ما عن المطبوع، فجعلت أقابل بين المطبوع وهذه النسخة.

ولدى المقابلة بينهما دهشتُ عندما وجدتُ اختلافاً كبيراً، وزيادات كثيرة، فقصدت أولاً إلى نشر هذه الزيادات والاختلافات. ولكن عندما جمعتُها من بضع صفحات وجدت أنها تشتمل على أضعاف التراجم الواردة في المطبوع، فتركت الفكرة وجعلت أنسخ النسخة من جديد. ولما انتهيت منها وجدتُ فيها كتاباً جديداً غير "معرفة القراء الكبار".

عنوان الكتاب:

١ - يعتبر عنوان كتاب ما من بين عناوينه المختلفة، موثوقاً وصحيحاً ذلك الذي اختاره مؤلفه أخيراً أو أدرج ذكره في الكتب التي ألّفها بعده على الأقل. ومن المعروف أن عديداً من الكتب التي ألّفها علماء السلف قد اختُلف في عناوينها، فحاول دارسوها أن يصلوا إلى عناوينها الصحيحة بعد دراسات وافية.

٢ - فمثلاً إن الحسَن بن محمد بن الحسَن الصَّغَانيّ (٥٧٧هـ-٦٥٠هـ) الذي ألّف عديداً من الكتب، سمّط مقصورة ابن دريد، وسمّاه القلادة السّمطية في توشيح الدريدية، ثم شرحه وعنوَنه شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية. وأخذ تلاميذه هذا الاسم لهذا التسميط وشرحه وذكروه في تراجم الصغاني. ولكنه قد اختار اسم هذا الكتاب: المرتجل في شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية بنسخة الكتاب التي كتبها تلميذه شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت ٧٠٥هـ)، وقرأها على المؤلف قبيل وفاته بيومين. ولذلك اختار محقق الكتاب عنوانه الأخير[٢٧].

٣ – والذهبي نفسه بدّل عناوين كتبه، وعرفنا منها عنوان تاريخ الإسلام. فإنه أدرج أولا عنوانه "تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام" ، ولكنه جعل كلمة "وفيات" بدلاً من "طبقات" في النسخ التي عاود فيها النظر مرة ثانية أو ثالثة كما يظهر من نسخ الكتاب[٢٨].

٤ – ويظهر من اختلاف العنوان لكتاب "طبقات القراء" للذهبي أيضا أنه سماه "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار"، أولاً، كما نراه على جميع النسخ المذكورة أعلاه للكتاب في صيغته الأولى. وقد رأى صلاح الدين الصفدي تلميذ الذهبي عنوان الكتاب من نسخته المذكورة. ولو شاء القدر أن يرى نسخة الكتاب النهائية، لكانت النتيجة غير ما نجدها اليوم من ذكره في الوافي بالوفيات.

٥ – وأي عنوان صحيح للكتاب؟ كانت لحلّ هذه المشكلة إشارة في أول ورقة لنسخة الكتاب النهائية، وهي لسوء الحظ مفقودة منها. ولكن وجود هذه النسخة لم يترك لنا هذه المشكلة عويصة بل حلّها من ناحية أخرى، وذلك بإيراد عنوان الكتاب في ترجمة ابن السُلعُوس (ترجمة ١٢٢٦) الذي انتسخ الكتاب في سنة ٧٣٥هـ من نسخته لصيغته الأولى، وأثبت عليها عنوان الكتاب: "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، ولكن الذهبي أخرجنا من هذه الهوّة بإيراد عنوان الكتاب المختار منه أخيراً، وذلك في ترجمة هذا العالم، حينما أدرجها في كتابه، فقال:

"... وتلا بحرف عاصم على الإمام أبي حيّان، وكتب الحديث، وشارك في الفضائل، ونسخ كتاب "طبقات القراء" هذا مع سكون ووقار".

٦ – لم أوفق في الحصول على عنوان الكتاب بنسختنا بيد ناسخها، لكنه قد صرّحه في كتابه "لحظ الألحاظ" ضمن ترجمة الوادي أشي، فقال: قال الذهبي في "طبقات القراء"[٢٩].

وإن لم نجد عنوان الكتاب على صفحة العنوان بنسختنا، فإن إيراده في الترجمة المشار إليها هنا لم يترك للذهبي من ناحية، ولابن فهد من ناحية أخرى مجالاً للشك في عنوان الكتاب الأخير والصحيح.

٧ – وفضلاً عن ذلك فقد أورد هذا العنوان نفسه في "سير أعلام النبلاء" من تأليفه، غير مرة، فقال ضمنها: قد ذكرت ذلك مطولاً في طبقات القراء، وقد ذكرته في طبقات القراء، وله ترجمة طويلة في طبقات القراء، واستوعبت ترجمته في طبقات القراء[٣٠]. أفلا تحدد هذه الإحالات عنوان الكتاب؟

٨ – وزد عليها أن علماء من الأسلاف قد استفادوا من هذا الكتاب، ونقلوا منه عبارات، أو ترجموا للذهبي، فأوردوا ضمن تآليفاته كتاباً تحت هذا العنوان. فهذا تاج الدين السُبكي قد ذكره في طبقاته[٣١]، وابن حجر العسقلاني أدرج ذكره في الدرر الكامنة[٣٢]، والفاسي في كتابه العقد الثمين[٣٣]. وجلال الدين السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ للذهبي[٣٤].

٩ – وأخيراً وليس آخراً، فإن العلماء قد اعتنوا بهذا الكتاب، فرتبوه وفقاً لما يرضونه، ونرى عندهم عنوان الكتاب الذي انتهينا إليه، أفلا يكفينا "ترتيب طبقات القراء للذهبي"، لابن الحسباني مثلاً في هذا الشأن[٣٥].

١٠– وأستطيع أن أسوق عدة شواهد أخرى لتعضد نتيجتنا، لكني أكتفي بإيراد القول لمعاصر الذهبي، فيما يلي:

في غاية النهاية: قلت فأخبرني الشيخ إبراهيم بن أحمد الحريري بالقاهرة قال كانت معي نسخة الطبقات بخط أبي عبد الله الذهبي المؤلف وقد استعرتُها منه من بيته بتربة أمّ الصالح، وكان شيخ الحديث بها. فخرجت فإذا شيخنا ابن بصخان في مجلس الإقراء بها، فقال ما هذا الذي معك؟ فقلتُ "طبقات القراء" للذهبي، فقال أرني حتى أبصر ترجمتي. قال فأخذه منّي فنظر فيه ثم قال اجعله عندي إلى غد فاستحييتُ منه وقلت بسم الله فأخذه منّي فلما كان في اليوم الثاني أخرجه وقد كتب على خط الذهبي ما كتب، قال فكيف بقي حالي مع الذهبي؟ قال فجئت إلى الذهبي وأنا في حالة من الحياء، الله يعلم بها. قال فسألني فأجبتُه وأنا في غاية الانكسار بصورة الحال. فقال يا ابني ليس لك ذنب أنت معذور، ثم نظر في خط الشيخ ابن بصخان فلم يغيره[٣٦].

فلم تترك لنا هذه الشواهد الداخلية والخارجية مجالاً أن نشكّ أو أن نحيد عن عنوان الكتاب الصحيح، وهو "طبقات القراء".

أمور أخرى متعلقة بالذهبي ونسختنا:

لا أرى حاجة إلى كتابة ترجمة الذهبي أو تفصيل عن آثاره العلمية أو عن منهجه في كتابة التراجم أو ما أُثير عن مؤلفاته بأنها مستلّة من تاريخ الإسلام أو سير أعلام النبلاء، له، فإن جميع هذه الأمور قد بسط فيها أقوالاً علماء كثيرون،

وبخاصة محققي كتب الذهبي[٣٧]، لكني سأسوق فيما يلي ما وجدتُ بهذه النسخة من أمور مفيدة، لعلها جديدة في هذا الشأن، عدا ما ذكرت آنفا ضمن زيادات هذه النسخة:

١ - لقد وجدنا تراجم مسهبة لعديد من القراء في نسختنا للذين لم نجد لهم تراجم ولا ذكراً في موارد أخرى بهذا الفن.

٢ - وأن بعض التراجم الواردة في الكتب للذهبي، وبخاصة في سير أعلام النبلاء تزيد في بعضها وتنقص في أكثرها عما ورد في نسختنا.

٣ - وأن الذهبي في كتبه المؤلفة بعد طبقات القراء، ومنها سير أعلام النبلاء قد أحال ضمن عدة تراجم إلى طبقات القراء له، فمعناه أن التراجم هذه أوفى وأطول مما في كتبه الأخرى. وهذه ميزة جليلة لهذا الكتاب[٣٨].

٤ - وقد ذكر الذهبي تراجم مفصلة لمعاصريه في طبقات القراء الذين لم يذكرهم في مكان آخر.

٥ - وقد أورد الذهبي في هذه النسخة سني وفيات العلماء المعاصرين له حتى مماته، وقد استطاع بهذه الفترة تزويد كتابه هذا بمعلومات لم يستطع أن يذكرها بأخرى[٣٩].

٦ - وله إشارات واضحة ضمن تحديد الطبقات. ومن يريد الاطلاع عليها فليراجع تراجم في نسختنا بأرقامها الآتية: ١٢٨، ٢٨٨، ٣٣٦، ٣٩٠، ٥٢٦، ٨٤٢، ٨٧١، ٨٩٣، ١١٨٥؛ وفي عنوان الطبقة الثانية عشرة. وهذا أمر ليس بواضح لدارسي الذهبي، وهو موضح هنا بالنسبة إلى طبقات القراء.

وأخيرا، أفتخر بأني أحييت هذه النسخة القيمة والوحيدة في العالم، وحققت الكتاب وهيأته للنشر، كما عملت له فهارس فنية للأعلام المترجمة في الكتاب والكتب الواردة أسماؤها في النص، والآيات القرآنية، وجعلت له كشافات أخرى للفائدة العامة، وبذلك أسهم في خدمة المكتبة الذهبية، وخدمة التراث العربي الإسلامي.

وأتمنى لو أن إحدى المؤسسات والهيآت المعنية بالتراث تقوم بعبء نشر هذا الكتاب نشرة جميلة مثل كتب الذهبي الأخرى.

[illegible] على المعري وابو القسم الحماسي [illegible] وعلي عبد الرحمن الكاتب وابراهيم بن مراد المرثي وطاهر بن
ابن جعفر [illegible] مدة وابو طرخان الحمام الساعي وعبد الوارث وصنف وجمع ونقش وحدث عن الشليجي
وابي طرخان السقا والبكاي وجماعة وانتهت اليه رياسة الاوزاعي وحدث عن ابي بكر
العطفي فهو اكبر شيخ له شملا عليه ابو علي غلام الهراس وابو القسم الحذاء وعبد السيد بن عتاب وابو الوكيل
ابن عبد الله الوكيل وابو الفضل بن خيرون وحدث عنه ابو بكر الخطيب وقال عنه اخبرني ابو القسم بن بشران
الوزان قال لي الخطيب رايته له اصول صحيحة واصول مضطربة ورايته اشياء سماعه فيها منكر
فانكرت عليه فسئل بعد انكاري عليه فاحضر اصوله فاذا هي مسلسلة انهم يوضعون له فيتهم به فاستضع الفؤاد
في اصوله اما مكتوبا او مصلحا بالقلم ثم ذكر له الخطيب ما يوجب ضعفه ولسوء ما سمع
وارجعت عما كنت [illegible] في جملة الاخبار من احاديثه المتروكة وارجاءه

الاقليشي [illegible] ابراهيم بن ثابت بن احمد الامام ابو اسحاق الاقليشي القرطبي نزيل مصر روى عن ابي مسلم
الكاتب وجماعة وقرأ القرآن على ابي الحسن طاهر بن غلبون وعبد الجبار الطرسوسي وقرأ القراءات بمصر
على مكي عبد الجبار بعد موته توفي سنة اثنتين وثلثين واربعمائة رحمه

المسكلي [illegible] اخبرنا ابو محمد عبد الله المسكلي الاديب بقراءتي عليه قال قرأ علي ابو الحسن الانصاري للصدلاني
صاحب الاشياخ للعاصم وغيره وعلى ابي الفرج طراد بن محمد بن علان بن سختويه الاسطرلابي وغيره حين ادركه
ابو عمرو الداني وتلا عليه بالروايات وقرأ ابو نصر القاسم القشيري الذي يقول السلفي قرأت عليه بمصر وأنا
وهذا المسكلي هو احد شيوخ الحسن بن يزدة الخياط رحمه الله تعالى توفي سنة سبع وثلثين واربعمائة بمصر
قال لي مكي بن عبد الله امام في علم القراءات وضبط القراءات واختلاف الروايات حدث عن ابي الطيب وأبي الفتح
وروى عنه الخلدي والداودي وابن وصيف وخلق سواه

الزينبي [illegible] علي بن عبد الله بن علي بن زيدان بن علي الحسن بن علي ابي طالب الامام العلم الفرد
ابو القسم العلوي الزينبي الحراني الشافعي الجنبلي تلميذ ابي بكر النقاش وختم اصحابه قرأ بالروايات على
النقاش وسمع منه بمصر وسمع عليه ابو القسم الحذاء ولم يلق في الدنيا شيخا اكبر منه وابو محمد عبد الكريم
الطبري وابو العباس احمد بن الفتح التوقلي وجماعة وكان عالما صالحا كبير القدر قال [illegible]
ابن الاكفاني الامين سمعت عبد العزيز الكتاني يقول قرأت جزءا من كتب ابراهيم بن شكر من مصنفات الاجري
والسماع عليه مزورة بين التزوير فقال ما يكفي على طاهر الزينبي الحراني لو تكلم حتى يتكلم عليه قلت
لعله جرى بينكما من الحافظ عبد العزيز [illegible] وأما ابو عمرو الداني فقال الزينبي اخبرنا قال النقاش قال وكان
ضابطا ثقة مشهور الرواية جدا وعمر طويلا قلت [illegible] اسمه فماء حسن وتوفي في العشرين من شوال
ابن الصفر الكاتب الحسن على الصواب ابو طاهر البغدادي الكاتب المقرئ مولى ابي عمرو علي بن عبد الله بن

الشاذ ناخذ القراءات عن ابن عمار وابن ماهر الفارسي ولما بلغه وروده إلى مصر تعرض فختمه الجمع على السبع من القراءة من الصابع وتلا عرف عالم على الامام ابي شامة وكتب الحديث وشارك في الفضائل ونسخ كتابا طبقات القراء هذا مع السكون والوقار وحسن الشمائل والتعفف والورع تصدر بالكلاسة للاقراء حينا وتكاثر عليه الطلبة وتخرج به القراء انتهى تعالى: فقه وسدده قال الفرنوي سنة سبع وثمانين توفي ببلدنا شهيدا الشمس ابو بكر بن ابي بكر بن عبد الله الامام المقرئ المحرر سيف الدين الشمي الاعسري الدمشقي ثم المصري الجذري له عناية تامة بالقراءات وبصر بالعربية تلا بالسبع وغيرها على الشيخ تقي الدين الصابغ وعلى ابي حيان والبرهان المجعبري وابن السراج المجود وقرأ ختمة لابن كثير مكي على الشيخ ابي الحسن الدلاصي وتلا بالسبع على القاسم بن سهل الوزير وله على كثير في هذا الفن ودين وديانة قدم دمشق وأخذ عنه يسيرا وحصل نسخة بهذه الطبقات مولده في سنة ثمان وستين وستمائة

ابن الله صالح بن عبد الرحمن زاد بن عبد الرحمن بن عبد الاعلى الامام المقرئ ابو بكر الدقوني ثم البحيري السفاقسي المقرئ يصنف كتاب الحواشي المفيدة في شرح القصيدة رأيت المجلد الاول من هذا الكتاب فوجدته مبنيا على اثنا عشر ألف بيت ونقض بمعرته بالعربية ثم انه بحث الى البحر تعلم فيها نسبه وان مولده بحماة بالقرب من قاعدة الحنايا في سنة ثمان وستين وستمائة ونشأ بالموصل وانه قرأها بالسبع على شيخنا ابي عبد الله بن خروف الدقوني ابن الوراق صاحب الشيخ عبد الصمد وانه قرأ القرآن على الخرقي وابن بكر العنبري قال

انا تلا على ابن خروف بعد ذهابه بخرو ومنزل دمشق وهو كثير الاستذكار كعادة المجاورين ودين وتمارين توفي بحماة ابن غزيل في سنة خمس وثلثين وسبعمائة تغمده الله تعالى

ومحمد المعروف بالنجم البوم قبة الاسلام ودار الامام مزاحمة القراء كثير لا الخير احوالهم كالامام البارع برهان الدين الجكري شيخ هذا الفن في زمانه والامام الزاهد ابو الفتح ابراهيم بن عبد الله الرشيدي والامام محب الدين الحلبي والامام نجم الدين اسمعيل الكتبي والاديب بهاء الدين ابن عقيل وصاحبي العلامة تقي الدين علي السبكي واشباههم من اصحاب الصابغ وبدمشق جماعة من ائمة المقرئين من اصحابه الكتبي وغيره وبالاندلس طائفة من اصحاب الشاذ ذوو عناية بالقراءات وبسلاد المغرب والمشرق والعراق فتركت ذكرهم خشية طول الكتاب نفعنا الله تعالى بصلحهم وادامهم وجعلنا ممن يعمل بعلمه ونتوب من ذنبه انه مجيب الدعاء ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فرغ من تبييض الاصل الذي نقلت منه هذه النسخة المباركة ونبهت فيها زيادات وتقديم وتاخير عن المسودة في سنة الآخر من سنة ثلثين وسبعمائة والحمد لله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ومن خطه نقلت جميع ما في ثالث عشر نهار الخميس رابع عشري جمادي الآخرة سنة سبع عشرة وثمانمائة بمنزلي بكفر بطنا حماة الكعبة العظمة والحمد لله تعالى على نعمائه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم انبيائه وعلى آله وصحبه خيار اوليائه

[الترجمة الرابعة]

[الصفحة الأخيرة للنسخة]

الحواشي والتعليقات

(١) راجع مقدمة المحقق لسير أعلام النبلاء : ص ٩٢؛ ومقدمة المحقق لتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزّي : ٧٧.

(٢) قد تولى الذهبي في سنة ٧٠٣هـ الخطابة بمسجد كفر بطنا، وهي قرية بغوطة دمشق، وظل مقيماً بها حتى سنة ٨١٨هـ، راجع مقدمة المحقق لسير أعلام النبلاء : ٤١.

(٣) استنتج محققو معرفة القراء (١٣/١) - وهم مصيبون في هذا الاستنتاج - من ترجمة مجد الدين أبي بكر المرسي (٧٤١/٣-٧٤٣) الذي لم يذكر الذهبي سنة وفاته في معرفة القراء لأنه كان حياً وقت إتمام الكتاب. وأنه مات في ذي القعدة سنة ٨١٨ هـ، معنى ذلك أن الكتاب كان قد تم تأليفه قبل هذه السنة. ولو كان تم تأليفه في السنة التي بعدها لكان الذهبي قد أورد سنة وفاة المرسي، يقينا.

(٤) وجدنا قطعة منها منقولة بخط مستشرق انتسخها، سنة ١٨٠٠م ولم يثبت عليها اسمه ولا مكان نسخه، من نسخة ابن السُلعُوس التي لا نعرف عنها شيئاً - أي بأية مكتبة توجد -. وتشتمل هذه القطعة من أول الكتاب إلى ترجمة الطيّب بن إسماعيل أبي حمدون الذهلي (معرفة القراء ٢١٢/١)، وتوجد بمكتبة برلين برقم ٩٩٤٣. ونقل المستشرق في بداية هذه القطعة سماع ابن السُلعُوس على الذهبي بنصه كذلك، وهي تجري:

"سمع هذا الكتاب كلّه من لفظي، وتابعني الشيخ الإمام المقرّب المجوّد الماهر شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن يحيى بن نحلة النابلسي ثم الدمشقي التاجر، بلغه الله آماله وأصلح أعماله، وهو ممسك - حال سماع هذه النسخة التي كتبها بيده. وصح ذلك في عدة مجالس، تمت تاسع جمادى الأخرى سنة خمس وعشرين وسبعمائة، والحمد لله.

وأجزتُ له، ولأخيه جميع ما حملتُه سماعاً، وتلاوة، وإجازة، وما قلتُه وألفتُه.

وكتب محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ، غفر الله له، ولوالديه، وتاب عليه كلما تاب إليه".

وأخبرنا الذهبي كذلك عن هذه النسخة في هذا الكتاب، انظر بنسختنا ترجمة ابن السلعوس، برقمها ١٢٣٦.

(٥) وعليها نشر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار بتحقيق الدكتور بشّار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عبّاس، سنة ١٩٨٤م.

راجع مقدمة المحققين للكتاب: ١٦، واللوحة فيها.

(٦) انظر فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي: ٥٦٩ - ٥٧٠.

(٧) انظر مقدمة المحققين لمعرفة القراء : ١٧.

(٨) وقد ظن ابن الجزري بأنه أتى في غاية النهاية على جميع كتابي الحافظ عبد الله الذهبي، والداني (٣/١)، والحقيقة أنه لم يوفق له الحصول على كتاب الذهبي الكامل.

(٩) مقدمة المحققين لمعرفة القراء: ١٧.

(١٠) انظر غاية النهاية مثلاً الترجمة ٢٤/٩ (٥٩٥/١)، ٣٢٩١ (٢١٢/٢).

(١١) انظر تراجم بنسختنا: ١١٩٥ (٧٣٢هـ)، ١٢٣٦ (٧٣٢هـ)، ١٣٠٥ (٧٣٥هـ)، ١٢٣٨ (٧٣٥هـ)، ١٢٠٩ (٧٣٨هـ)، ١٢١٩ (٧٣٩هـ)، ١٢٢٦ (٧٤٠هـ)، ١٢٢٥ (٧٤٢هـ)، ١٢٠٨ (٧٤٣هـ)، ١٢١٧ (٧٤٣هـ)، ١٢٠١ (٧٤٥هـ).

(١٢) ترجمة ١٢٠٤.

(١٣) هذه هي النسخة التي بين أيدينا.

(١٤) هناك إفادة قصيرة من نسخة باريس لكتاب معرفة القراء. وإن لم تذكر هذه النسخة بين النسخ التي استفاد منها محققو الكتاب، لكنهم قد ذكروها ضمن إفادة، فقالوا: إن ابن الجزري قد ذكر في ترجمة يوسف بن المبارك (انظر معرفة القراء ٥٣٠/٢): "وقد ترجمه الذهبي بترجمتين في الطبقة الثانية عشرة والثالثة عشرة، وبسط الثانية أكثر" (غاية النهاية ٤٠٣/٢).

هنا أفادنا محققو الكتاب" فلم نجد له ترجمتين في الأصل، فإنه تنبه إلى التكرار، فحذفه؛ وهو في نسخة باريس برقم ٢٠٨٤، الورقة ١٥٢، ١٥٧".

وتشير هذه الإفادة إلى أمر مهم بالنسبة لنا، وهو أن النسخة التي توجد بباريس، لعلها من فصيلة النسخ للكتاب بصيغته الثانية، لأن معرفة القراء ونسختنا لا تشتملان على ترجمتين للمترجم. ولكن يخيب أملنا ثانياً لأن النسخة هذه لو كانت من صيغته الثانية لكانت مشتملة على زيادات عديدة

على الأولى، فأوردها محققو الكتاب في مكانها من معرفة القراء يقينا، لكنهم لم يشيروا إليها إلاّ بهذا المكان المشار إليه آنفاً.

(١٥) فعلى سبيل المثال لا الحصر، انظر التراجم الآتية في غاية النهاية فقد نقلها ابن الجزري عن الذهبي. فبدهي أن ابن الجزري قد استفاد فيها من نسخة طبقات القراء للذهبي المشار إليها آنفاً، إذ إن هذه التراجم لا توجد في معرفة القراء المطبوع.

- إبراهيم بن حسن بن نجيح التبّان (رقم الترجمة في الغاية ٣٦، وفي نسختنا ٩٩).
- أحمد بن الحسن بن علي (رقم الترجمة في الغاية ٩٠١، وفي نسختنا ١٢١٢).
- ترك الحذاء النعّال (رقم الترجمة في الغاية ٨٦٠، وفي نسختنا ١٤٣).
- حامد بن محمود بن حرب (رقم الترجمة في الغاية ٩٢٩، وفي نسختنا ١٦٧).
- عمر بن هارون البلخي (رقم الترجمة في الغاية ٢٤٣٧، وفي نسختنا ٨٧).
- القاسم بن يزيد بن كُلَيب الوزّان (رقم الترجمة في الغاية ٢٦٠٩، وفي نسختنا ١٦٥).
- قتيبة بن مهران (رقم الترجمة في الغاية ٢٦١٢، وفي نسختنا ١٠٢).
- محمد بن أحمد بن محمد البَيْسَاني (رقم الترجمة في الغاية ٢٧٩٤، وفي نسختنا ٢١٩).
- محمد بن الحسين بن حرب (رقم الترجمة في الغاية ٢٩٦١، وفي نسختنا ٩٤٩).
- محمد بن عبد الرحمن ابن السُمَيفع (رقم الترجمة في الغاية ٣١٠٦، وفي نسختنا ١٠١).
- محمد بن عمر القصَبي (رقم الترجمة في الغاية ٣٣١٣، وفي نسختنا ١١٩).
- محمد بن عمرو بن عون الواسطي (رقم الترجمة في الغاية ٣٣٢٩، وفي نسختنا ١٩٠).

- الفضل بن صدقة (رقم الترجمة في الغاية ٣٦٣٧، وفي نسختنا ٥٨).

(١٦) على سبيل المثال لا الحصر:

- محمد بن حماد بن بكر بن حمّاد البغدادي (رقم الترجمة في نسختنا ٢٣٣).
- عبد المالك بن أحمد بن عصام (رقم الترجمة في نسختنا ٣٤٦).
- محمد بن الحسن بن علاّن بن سختويه (رقم الترجمة في نسختنا ٣٤٧).
- عبد الله بن اليسع الأنطاكيّ (رقم الترجمة في نسختنا (٣٥١)).
- عمر بن أحمد بن هارون بن الآجري (رقم الترجمة في نسختنا ٣٨٢).
- عبد القاهر بن عبد العزيز الضائع (رقم الترجمة في نسختنا ٤٣١).
- عبيد الله بن عبد الله بن الحسن البغدادي (رقم الترجمة في نسختنا ٤٣٢).
- عطية بن سعيد بن عبد الله (رقم الترجمة في نسختنا ٤٤٣).
- الحسين بن عبد الواحد الحذّاء (رقم الترجمة في نسختنا ٤٤٥).
- أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد (رقم الترجمة في نسختنا ٤٧٤).

أخذنا هذه الترجمات من مكان واحد، وهم كثيرون عندنا، وقد أشرنا في الحواشي إليهم.

(١٧) وقد ذكر الذهبي (راجع الترجمة ١٢٣٧) أن أبا بكر بن أيد غدي بن عبد الله الشمسي" قد حصل نسخة بهذه الطبقات". لعل الله صانها من أيدي الزمان، فتخرجها أيدي العلماء في المستقبل.

(١٨) ومن الغريب أن محققي معرفة القراء لم يصرحوا لدى إيراد أبيات صلاح الدين الصفدي في بداية معرفة القراء لهذا الأمر، أن فيها:

* تَجِدْهَا سَبْعَةً مِن بَعْدِ عَشْرٍ *

حيث يحدد الصفدي بوضوح عدد الطبقات سبع عشرة طبقة. ولكن توجد في معرفة القراء المطبوع ثماني عشرة طبقة.

(١٩) لا شك أنه أسقط التراجم المكررة من الصيغتين الأولى والثانية، ولكنه كرر ثانياً تراجم في هذه النسخة وهي: ٦٧ و ٩٧، ١١٩ و ١٥٤، ٦٠١ و ٧٠٥، ٦٧٥ و ٧١٧، ٧٧٧و ٤٩٤، ٩٣٢و ١٠٣٤، ٩٨٦و ١٠٢٠، ٩٩٥و ١٠٤٥، ١٠٦٢و ١٠٧٧.

(٢٠) انظر في معرفة القراء تراجم أرقامها: ٥٩٥، ٦٨٦، ٧٠١، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٧، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥ و ٧٢٥، التي لا توجد في نسختنا.

(٢١) اسمه الكامل محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي العلوي ثم المكي الشافعي، والمعروف بابن فهد. مؤرخ من علماء الشافعية. ولد بأصفوان من صعيد مصر الأعلى بالقرب من إسنا، في ربيع الثاني ٧٨٧هـ، وانتقل مع أبيه إلى مكة، وطن أسرته وأجداده سنة ٧٩٥هـ، وأخذ منزلاً تجاه الكعبة المشرفة. وظلّ بهذا البيت حتى الممات، فيما يبدو. ونراه بالخصوص ها هنا من ٨١٧هـ إلى ٨٢٥هـ كما تنم عنه نسخة طبقات القراء من ثبت بآخرها وتاريخ كتابتها. توفي بها في ربيع الأول سنة ٨٧١هـ.

ومن تآليفاته: النور الباهر الساطع من سيرة ذي البرهان القاطع - في السيرة النبويّة. ٢ - المطالب السنية العوالي بما لقريش من المفاخر والمعالي. ٣ - عمدة المنتحل وبلغة المرتحل - في الحديث. ٤ - لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ للذهبي - في الحفاظ. ٥ - طرق الإصابة بما جاء في الصحابة. ٦ - سيرة الخلفاء والملوك - مجلدان. ٧ - نهاية التقريب وتكميل التهذيب - جمع فيه بين تهذيب الكمال، ومختصريه للذهبي وابن حجر. ٨ - الزوائد على حياة الحيوان للدميري. ٩ - قصص الأنبياء، وكتب أخرى.

انظر ترجمته : مقدمة لحظ الألحاظ له، الذي طبع بذيل طبقات الحفاظ للذهبي، بدمشق: ٢-٥؛ والأعلام للزركلي ٢٧٧/٧-٢٧٨؛ ومعجم المؤلفين: ٢٩١/١١.

(٢٢) بآخر كل جزء من النسخة أثبت ابن فهد هذه العبارة: "بلغت المقابلة بأصله، فصح، ولله الحمد والشكر". أو بتعديل يسير، وقد بلغ هذا البلاغ إلى ١٤ عدداً.

(٢٣) وقد أثبت بآخر كل طبقة تقريباً إلاّ بعضها - وذلك على الهامش، وأصبحت هذه الأثبات ١٥ ثبتا. وقرىء الكتاب أمام أسرة ابن فهد، ورأينا تفصيلها في الأثبات كما سيأتي. وأسوق هذه الإفادة لأن هذه التفاصيل لأسرة ابن فهد لا توجد في المصادر:

- أولاده الثلاثة : فهد ، وأبو بكر، وعمر.

- بناته الثلاث: فاطمة، وزينت، ورقية؛ وهن بنت قريش وأمّ هانىء وأم البنين.

- شقيقته: كمالية.

- والدتهم: لعل اسمها حاضرة.

- خادمتهم: فتاة سهب الله الحبشية.

إن المجلس الثاني عشر قد انعقد في ١٠ ذي الحجة سنة ٨٢٤هـ، ومن الغريب أن المجلس التالي الذي انعقد بعد عدة أيام، قد أثبت ابن فهد تاريخه ١٨ محرم سنة ٨٢٦هـ، وكذلك المجلس التالي في المحرم لنفس السنة. أرى أنه قد سبق قلمه في كلا المكانين، ألا وهي سنة ٨٢٥هـ. ومن الطبيعي أن المجالس قد انعقدت متصلة، وليس بينهما وبين المجالس الأخرى مدة طويلة كعام كامل.

(٢٤) ينظر كتاب: الذهبي ومنهجه للدكتور بشّار عواد معروف: ١٨٩.

(٢٥) يراجع لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لابن فهد الهاشمي: ٢٤٥.

(٢٦) وُلد المولوى محمد علي منشىء هذه المدرسة سنة ١١٦٤هـ بمدينة بتالة BATALA من مقاطعة بنجاب الشرقي. وهجرها في عشرينه ووصل إلى مكهد (قرية قديمة على ضفة نهر السند بقرب المدينة سيانوالى) لطلب العلم كعادة الأسلاف. وظلّ هناك مدة طويلة فلم يترك هذا المكان العلمي. وكان يحب طلبة العلم ويجد في خدمتهم لذة. وكان يحب الكتب كذلك، حتى جمع لديه كثيراً منها، وأكثرها مخطوط ومجلوب من البلاد النائية كبلخ وبخارى وسمرقند وكشمير وبنغالة وإيران.

وأما مدرسته التي كانت كعبة العلم في تلك الأزمان فقد جلبت طلبة من المواضع المشار إليها آنفاً. ونرى هذه المدرسة في ذروتها من الخدمة حتى ممات المولوي محمد علي في رمضان سنة ١٢٥٣هـ. فخلفه تلاميذه العلماء الذين جلسوا مكان تدريسه، وراحت المدرسة تنشر العلم نحو قرن ونصف.

أما الآن فليس هناك شيء من العلم إلاّ مكتبته المهجورة، وكتبها منقسمة بين خلفه، وحالتها لا تذكر.

(٢٧) انظر مقدمة المحقق لكتاب المرتجل في شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية: ١٥-١٦.

(٢٨) مقدمة المحقق لكتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزّي: انظر حاشية رقم ١٣ بصفحته ٧٧.

(٢٩) لحظ الألحاظ: ١١٥، وترون هذه الترجمة بنصها في نسختنا بالرقم ١١٦٠.

(٣٠) راجع مثلاً ٥/٢٩٣، ٦/٤٠٧، ٧/٩٢، ٣٣٦، ١٥/٩٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ١٦/٢٦٠، ٥١٦.

(٣١) ٩/١٠٤.

(٣٢) ٣/٤٢٦.

(٣٣) ٣/٣٠٠

(٣٤) ص ٣٤٨

(٣٥) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ: ٢٤٥.

(٣٦) انظر غاية النهاية ٢/٥٩.

(٣٧) تراجع مقدمات كتب الذهبي المطبوعة حديثاً، وبخاصة سير أعلام النبلاء بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، وبتحقيق نخبة من العلماء، والمنشور من مؤسسة الرسالة، ومعرفة القراء، وغيرها، والذهبي ومنهجه للدكتور بشّار عوّاد معروف.

(٣٨) تراجع حاشية رقم ٣٠ أعلاه.

(٣٩) إن محققي سير أعلام النبلاء قد ذكروا له ميزتين رئيسيتين: أولاهما الإضافات الجديدة وإعادة التنظيم، وثانيتهما تشير إلى أنه أعاد النظر في المادة المقدمة طوال تلك المدة، فذكرها بعد أن زادها تحقيقاً وتمحيصاً، وأنها تمثل الشكل الذي ارتضاه في أواخر حياته العلمية الحافلة بجلائل المؤلفات (١/١٣٧).

وهذا القول صحيح، ولكن بالنسبة إلى طبقات القراء هذا أصح، بل في الحقيقة قيل لهذا الكتاب، لأن الذهبي قد أحال في عديد من التراجم في سير أعلام النبلاء إلى طبقات القراء، له. إذاً، الكتاب الذي يحال إليه يمثل الشكل النهائي.

ثبت المصادر والمراجع

- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي. الطبعة الثانية، والخامسة.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزّي. طبعة فوتوغرافية. دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٢م.
- طبعة أخرى محققة لعدة أجزائه من مؤسسة الرسالة ببيروت.
- الذهبي ونهجه في كتاب تأريخ الاسلام، للدكتور بشار عواد معروف. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م.
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق نخبة من العلماء. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م - ١٩٨٥م.
- طبعة قديمة، بالقاهرة.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري. نشرة برجستر اسر. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م. طبعة فوتوغرافية من طبعته بالقاهرة سنة ١٩٣٢م.
- فهرس المخطوطات العربية بمكتبة كوبريلي. استانبول: مركز الأبحاث للتأريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٨٦م.
- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، للحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي. طبع بذيل تذكرة الحفاظ للذهبي. دمشق: مطبعة التوفيق، ١٣٤٧هـ.
- المرتجل في شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، تحقيق الدكتور أحمد خان. مكة المكرمة: مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٩م.
- معجم المؤلفين، وهو تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٧م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عواد معروف وآخرين. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م.
- تحقيق محمد سيد جاد الحق. القاهرة: ١٩٦٧م و ١٩٦٩م.